إن النقد الأدبي الجزائري متجذر في الماضي،وقد أسهم في حركة النقد العربي القديم بقسط رغم أنه لم يظهر جليا في الساحة النقدية ،إلا أنه لا يمكن تجاهله بأية حال من الأحوال. وفي الحديث عن النقد الأدبي الجزائري الحديث ،فمن المعلوم أنه بدأ بدايات متعثرة كانت لها هفواتها فيكاد يقع إجماع على أننا لا نلقى نقدا ممنهجا قبل سنة 1961،فما كان قبل هذه السنة لا يعد أن يكون محاولات متناثرة في الصحف و المجلات و التي كان يمثلها بعض الكتاب أمثال، رمضان حمود-محمد السعيد الزاهري -محمد البشير الإبراهيمي- ابن باديس-حمزة بركوشة-أحمد بن ذياب-عبد الوهاب بن منصور-وغيرهم من الأدباء.

وبالرغم من الحكم الذي أصدره "الدكتور عمار بن زايد"و الذي نصه"حقيقة أن النقد الأدبي الجزائري الحديث قد ظهر متأثرا نسبيا،وأنه لم يكن ناضجا في بداية نشأته ،وأنه كان يتسم بالنظرة الجزئية حينا،و النظرة السطحية حينا أخر...إلى غير ذلك من الأمور التي تدل على نقص و عدم اكتمال . غير أن ذلك في الواقع أمر طبيعي جدا، و له ما يبرره، فمن المعروف أن النشاط الأدبي في الجزائر إلى غاية العشرينات من هذا القرن، كان نشاطا ضعيفا شكلا و مضمونا، ولكن عندما أخذ الأدب الجزائري في النمو و التجدد

شيئا فشيئا، من بداية العقد الثالث من هذا القرن أخذ النقد في الظهور و النمو شيئا فشيئا هو الأخر"[[1]](#footnote-1).فان هذا الحكم لم يمنع الباحث من دراسة هذا الإنتاج النقدي، فالحكم لا ينفي الدراسة ،و الضعف لا يهمش النص، بل للضعف بلاغته، وللتخلف خطابه، وليس على الباحث إلا البحث عن هذه البلاغة،وعن هذا الخطاب.

ففي العصر الحديث واكب النقد الأدبي الجزائري الحركة النقدية الأدبية العالمية بمختلف اتجاهاتها الحداثية و ما بعد الحداثية على تنوع مداخلها السياقية و النسقية، فكانت إسهاماتها البارزة على الساحة النقدية العربية المعاصرة.

وقد عرف هذا النقد تحولات تاريخية و اجتماعية ظهرت مع استقلال الجزائر، فمع بداية الثمانينات بدأ يتشكل إبدال جديد ينهض على أساس رؤية مغايرة لدور النقد و طبيعة الأدب، وأخذ يسعى إلى تجاوز البحث في المؤثرات الخارجية للنص، بغية فهمه و تفسيره و تصنيفه وإبراز قيمته الجمالية ، وذلك بتركيزه غلى ما يعبر عنه النص.

وما يحمله من قيم معرفية ،وينادي بالاهتمام بالنص في ذاته بغض النظر عن خلفيته التاريخية،و يتمثل ذلك في هيمنة مرجعية جديدة ترتهن بصورة خاصة في أعمال"عبد المالك مرتاض"،وتحضر من خلال هذا الإبدال مصطلحات جديدة مثل ،الخطاب و العوامل و الوظائف و الراوي بدل الكاتب، وبدأت تظهر تنويعات جديدة تتجلى في الحديث عن التناص،و البنيوية-التلقي و التأويل-السياق-و الكاتب و ما شاكل هذه المصطلحات التي بدأت تهيمن على الدراسات النقدية الجزائرية »و في ضوء هذا التصور الجديد دخل عبد المالك مرتاض عالم المناهج النقدية الحديثة التي تهب النص كينونته اللغوية المستقلة متحججا بأحدث المفاهيم الألسنية « ،[[2]](#footnote-2) وفي فترة وجيزة نُقل النقد القديم من المنهج التاريخي إلى المنهج الحديث الذي يتناول النص، و تحققت فعالية هذه النقلة في ظروف قصيرة و بوتيرة متسارعة ،و عرفت تحولا لم يعرفه النقد من قبل و كان ذلك من خلال ترهين العديد من الدراسات التي تعتبرها تشكل مرحلة التجريب لهذه المناهج الحديثة، فطبق **عبد** **المالك** **مرتاض** هذه المناهج الحديثة متجاوزا في ذلك المناهج التقليدية القديمة داعيا إلى ضرورة »الانصباب على النص وحده و الاحتكام إلى العلم وحده باعتبار إن الكاتب تنتهي مهمته الإبداعية بمجرد الانتهاء من العملية الإبداعية، فالاهتمام ينصب على عمله لا عليه « .[[3]](#footnote-3)

نلاحظ من خلال هذه الضرورة أننا فعلا أمام مسار متحول ، فمن المبدع إلى النص، ومنه إلى السياق، ومن البنية إلى الوظيفة، وهكذا نجد أنفسنا أمام مراحل تطورية مختلفة قوامها التحول المنهجي ، وتبعا لهذا التطور في المسار النقدي تحققت تراكمات كمية و نوعية من الأعمال التي أنجزها **عبد** **المالك** **مرتاض** و أثبت بها حضوره في هذه المرحلة ،فكان بمثابة الناقد الحصيف الذي ينظر إلى ما جد في مسرح النقد نظرة المتمرس فقد دعا إلى تجديد مناهج النقد العربي و أسهم في بلورة اتجاه نقدي عربي هدفه قراءة الأدب العربي قديمة و حديثة قراءة خلاقة يحاور فيها الناقد القارئ النصوص متعاطفا ومندهشا و مشاركا في إنتاج دلالتها متجاوزا الأحكام القيمة التي عصفت بالنقد العربي، وهو إذ يدعو إلى ذلك لا يقاطع المناهج التراثية، بل كان من القارئين لها و المشتغلين بهمومها لكن ينظر إليها بعين حداثية مستعينا في ذلك بمفاهيم نقدية معاصرة لفهم الظواهر اللغوية و الأسلوبية في النصوص،وهو على يقين بأن بعض التقليدين »لا يستطيعون مثل هذه المناهج، إذ ألفوا المنهج الإنشائي الذي يعتمد على الكلام و لا شيء وراء ذلك و لكننا نؤمن بأن النصر أبدا للجديد و لا سيما إذا كان جديدا لا يرفض القديم جملة وتفصيلا « [[4]](#footnote-4).

هذا التطبيق سمح له باقتراح قراءة جديدة للتراث العربي القديم حينما خص نص **أبي** **حيان** **التوحيدي** بدراسة نصية مطولة أسماها تشريحا الذي جعله بديلا للشرح والتحليل، إذ هو بذلك يستعير المصطلح من الناقد السعودي **عبد** **الله** **الغذامي**، غير لأنه لم يوفق توفيقا كاملا في اصطناع المنهج البنيوي في هذه الدراسة، بل ظل مراوحا بين البنيوية و الأسلوبية من المنظور واحد، يتزاوج فيه المصطلحات الألسني و النحوي، وتتعايش فيه الثقافتان الحداثية تعايش سلميا نابعا من شخصية الناقد الدكتور **عبد** **المالك** **مرتاض** في كتابه "النص الأدبي من أين إلى أين ؟" لم يكن بنيويا بالمفهوم الخالص للبنيوية المدرسية، و لم يكن منتميا إلى الأسلوبية ذلك الانتماء المدرسي، و قد استطاع أن يتمثل أحدث أساليب النقد الأروبي الحديث مع استعداد صادق و أصيل لكي يوظفه توظيفا عربيا و يوفد به ثقافتنا الحائرة بين القديم و الجديد ، و بين الأصيل و الوافد .

إن الناقد يستفيد من المعرفة النظرية الغربية في تجديد أسئلة القراءة و أدوات البحث والتحليل، و لعل ذلك ما أتاح له أن يطبق المنهج الأسلوبي و البنيوي على دراسته في "بنية الخطاب الشعري "لقصيدة" أشجان يمانية"، وقد أشار بنفسه إلى هذا المنهج إذ يقول: » لا أنكر أنني ركزت على الجانب الأسلوبي على الأسلوبية ، فاستخدمت المنهج الأسلوبي أكثر مما استخدمت المنهج البنيوي في تشريح هذه القصيدة في كتابي بنية الخطاب الشعري « .[[5]](#footnote-5)

بهذه الطريقة استطاع الناقد بحذاقته ومستوى ذكائه في القراءة و التشريح أن يضعنا أمام قراءة جديدة تعتمد المناهج النقدية الجديدة المنتشرة في الثقافة الغربية، فهو سريع الانتقال من قضية إلى أخرى، و من منهج إلى آخر في تحليلات و تطبيقات في مستويات متعددة و في استيعاب كامل جعله قادرا على التحول و تجاوز الذات.

1. عمار بن زايد: النقد الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1990،ص07 [↑](#footnote-ref-1)
2. يوسف وغليسي: النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية،إصدارات رابطة إبداع الثقافية، الجزائر،د ط،2002،ص 29 [↑](#footnote-ref-2)
3. عبد المالك مرتاض:الألغاز الشعبية الجزائرية ،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1982،ص 07 [↑](#footnote-ref-3)
4. المرجع السابق ،ص 08 [↑](#footnote-ref-4)
5. جهاد فاضل: أسئلة النقد، حوار مع الدكتور عبد المالك مرتاض،سلسلة النقد ،الدار العربية للكتاب، بيروت،ص 216 [↑](#footnote-ref-5)